أثر القراءات المتعلقة بالعموم والاطلاق والاجمال في تفسير الامام السمعاني

علاء عبد العال محمد سعداوي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين , سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وأصحابه أجمعين .

وبعد

فإنَّ أشرف علم يتعلَّمه العبد , وأزكى صناعة يفني فيها المرء عمره , ما كان متعلِّقاً بكتاب الله تعالى , فحريٌّ أن تتفق فيه الأوقات , وتُصْرَفُ فيه الجهود والطاقات , فإنَّ القرآن ينبوع العلوم ومنشؤها , ومعدن المعارف ومبدؤها , ومبنى قواعد السرع وأساسه , وأصل كل علم ورأسه .

والعلوم إنَّما تشرف بأحد ثلاثة : إمَّا بشرف موضوعها , أو بشرف أحوالها , أو بشرف أغراضها وأهدافها .

وعلما التفسير والقراءات وما يتعلَّق بهما قد حصل لهما الشرف من الجهات الثلاثة.

هذا وإنَّ تتبُّع القراءات في كتب المفسِّرين , واستخلاصها له ميزات جليلة , وإنَّ كشْفَ مناهج المفسِّرين في عرض القراءات في تفاسيرهم مهمٌّ وجديرٌ بعناية الباحثين .

من أجل ذلك رأيت أن يكون موضوع البحث " أثر القراءات المتعلِّقة بالعموم والإطلاق والإجمال في تفسير الإمام السَّمْعَانيّ " , والله أسأل أن يوفِّقني إلى الخير.

ـ أهمِّية الموضوع :

تتلخص أهمِّية الموضوع في نقاط , أذكر منها :

1 – شدَّة تعلُّق القراءات بتفسير القرآن الكريم وعلومه .

2 – إبراز القيمة العلمية للقراءات في تفسير الإمام السَّمْعانيّ , من حيث اشتماله على كمٍّ كبير من القراءات .

3 – إظهار أثر القراءات فيما يتعلَّق ببعض علوم القرآن ؛ كالعام , والمطلق , والمجمل .

ـ أهداف دراسة الموضوع :

1 – بيان منهج الإمام السَّمْعانيّ في أثر القراءات فيما يخص العام , والمطلق , والمجمل في القرآن الكريم .

2 ـ الوقوف على كمِّ القراءات التي ذكرها السَّمْعَانيّ المتعلِّقة ببعض علوم القرآن , وكيفية استخدامه لها .

الدراسات السابقة :

بعد البحث والاطلاع على فهارس المكتبات , وسؤال ذوي الشأن والختصاص , توصَّل الباحث إلى عدم وجود دراسات سابقة لهذا الموضوع , غير أنَّ هناك رسالات أخرى في بعض الجامعات تحت عنوان :

1 – تفسير أبي المظَفَّرْ السَّمْعَانيّ , من سورة الشورى , إلى نهاية سورة النجم , دراسة وتحقيق , رسالة ماجستير , للباحث / محمد الأمين بن الحسين بن أحمد الشنقيطي .

2 – تفسير أبي المظَفَّرْ السَّمْعَانيّ , من سورة الجنِّ إلى آخر القرآن الكريم , مع المقارنة بينه وبين البغوي والزمخشري , تحقيق , ودراسة , رسالة دكتوراه , للباحث / سليمان صالح العبد الله الخزي , الجامعة أسلامية .

3 – دراسة وتحقيق سورة الأنعام , والأعراف , والأنفال من تفسير أبي المظَفَّرْ السَّمْعَانيّ , رسالة دكتوراه , للباحث / طلال بن مصطفى بن أحمد عرقسوس , الجامعة الإسلامية .

ـ عملي في الموضوع :

1 – استقراء جميع المواضيع التي تحدَّث فيها الإمام السَّمْعانيّ عن القراءات في تفسيره , وذلك لمعرفة منهجه فيها .

2 – اختيار نماذج توضِّح منهج السَّمْعانيّ في علم القراءات .

3 – توثيق القراءات التي وردت في البحث من مصادرها الأصيلة .

منهج البحث :

اتَّبَعَ الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي والمنهج التحليلي , حيث قام الباحث باستقراء جميع مواضع القراءات القرآنية , وحصرها في تفسير الإمام السَّمْعانيّ , ثم تصنيفها حسب طبيعة كلٍ منها , ثم استنباط معالم الإمام السَّمْعاني من خلالها , مُدَعِّماً ذلك ببعض النماذج التي توضح ذلك , وتحليلها والتعقيب عليها .

سابعاً : خطة البحث :

اشتمل هذا الموضوع على مقدمة , وفصل , وثلاثة مباحث , وخاتمة , وفهارس .

أما الفصل : فهو بعنوان " أثر القراءات فيما يتعلَّق بالعموم والإطلاق والإجمال في تفسير الإمام السَّمْعانيّ "

وقد تضمَّن هذا الفصل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : القراءات المتعلِّقة بالعموم .

المبحث الثاني : القراءات المتعلِّقة بالإطلاق .

المبحث الثالث : القراءات المتعلِّقة بالإجمال .

أما الخاتمة فقد اشتملت على أهمِّ وأبرز ما وصل إليه الباحث من نتائج ومقترحات ,

المبحث الأول : القراءات المتعلِّقة بالعموم

وسوف يسوق الباحث بعض النماذج من القراءات المتعلِّقة بالعموم في تفسير الإمام أبي المظَفَّر السَّمْعانيّ , مرتبة حسب الترتيب المصحفي :

1 ـ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ٱ... ﴿ ﴾ ..... ﴾ (1) , قال ـ رحمه الله ـ قال أنس بن مالك : " أراد به طلب الولد , وروى أبو الجوزاء (2) عن ابن عباس : أراد به ابتغاء ليلة القدر , وقال قتادة , وهو أحسن الأقوال : يعني : وابتغوا ما كتب الله لكم من الرخصة بإباحة الأكل والشرب , والوطء , في اللَّوح المحفوظ , وقرأ ابن عباس في الشواذ : [واتَّبِعُوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا] " (3).

ففي هذا المثال ذكر السَّمْعانيّ القراءة المعروفة المتواترة , وأخذ يستعرض أقوال العلماء في بيان المراد منها , واختار من هذه الأقوال : قول قتادة , مستدلاً على ذلك بقراءة ابن عباس في الشواذ [واتبعوا ما كتب الله لكم] على أنَّ هذه القراءة عامَّة في جميع الأحوال السابقة , بينما القراءة المتواترة قد ذكرت فرداً من أفراد العموم المستفادة من قراءة ابن عباس .

ويمكن للباحث أنْ يلقي الضوء على معنى هاتين القراءتين في المثال السابق , وما ترتب عليهما من عموم وخصوص , وذلك على النحو التالي :

أولاً : القراءات الواردة في المثال السابق :

1 ـ قرأ القُرَّاء العشرة : [وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ] .

2 ـ وقرأ الحسن البصري , والحسن بن قرة [اتبعوا] من الاتباع , ورُوِيَت عن ابن عباس هكذا (4).

3 ـ وعن عطاء بن أبي رباح قال : قلت لابن عباس : " كيف تقرأ هذه الآية : [وابتغوا] أو [واتبعوا] .؟ قال : بالقراءة الأولى (5).

4 ـ وقرأ الأعمش [وأتوا ما كتب الله لكم] وهي قراءة شاذة ؛ لمخالفتها رسم المصحف ([6]).

ثانياً : **المقصود من هذه القراءات** :

معنى القراءة المتواترة : ... . ([7]) من الابتغاء , وفي المراد منه أقوال ([8]) :

الأول : ابتغوا الولد , يدل عليه , أنه جاء عُقَيْب قوله تعالى : ... ([9])

وقال بعض أهل العلم : لما كانت المباشرة قد تقع على ما دون الجماع أباحهم الجماع الذي يكون من مثله الولد , فقال : [**وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**] , يريد الولد ([10]).

قال أبو حيان : " لما أُبيحت لهم المباشرة أُمِرُوا بطلب ما قسم الله لهم , وأثبته في اللَّوح المحفوظ مكان الولد , وكأنَّه أُبيحَ لهم ذلك لا لقضاء الشهوة فقط , لكن لابتغاء ما شرع الله النكاح له من التناسل " ([11]).

وما ذكره أبو حيان هو قول ابن عباس , ومجاهد , والحَكَم بن عُتَيبَة , وعكرمة , والحسن , والسَّدي , والربيع و والضحاك ([12]).

الثاني : هو محل الوطء , أي : ابتغوا المحل المباح الوطء فيه دون ما لم يُكتَب لكم من المحل المحرم , لقوله تعالى ... ... ([13]) .

الثالث : هو ما أباحه بعد الحَظَر , أي : ابتغوا الرخصة والإباحة والتوسعة , وهو قول قتادة , وابن زيد , واستحسنه ابن عطية .

الرابع : وابتغوا ليلة القدر , قاله معاذ بن جبل , وروي عن ابن عباس ([14]) وقد عقَّب الزمخشري على هذا القول بقوله : " وهو قريب من بدع التفاسير " ([15]).

كما عدَّه الكرماني من عجائب التفسير ([16]).

الخامس : هو القرآن , أي : ابتغوا القرآن , فما أُبيحَ لكم , وأُمِرتم به فهو المبتغى .

السادس : هو الأحوال والأوقات التي أُبيحَ لكم المباشرة فيهن ؛ لأنَّ المباشرة تمتنع من الحيض والنفاس والعدة والرِّدَّة .

السابع : هو الزوجة , أو المملوكة , كما في قوله تعالى :ُّ ...ّ (17) .

معنى القراءتين الشاذتين :

القراءة الأولى : وهي قراءة الحسن [واتبعوا ما كتب الله لكم] أي : اتبعوا القرآن , فما أُبيحَ لكم , وأُمِرتم به فهو المبتغى.

وأمَّا القراءة الثانية : التي هي قراءة الأعمش [وأتوا ما كتب الله لكم] أي : ابتغوا المحلّ المباح الوطء فيه , والمعنى : افعلوا ما أَذِنَ الله لكم في فعله من غشيان النساء في جميع ليلة الصيام .(18)

ثالثاً : ومِمَّا سبق يمكن لنا أنَّ نستنبط أموراً , منها :

1 . أنَّ قراءة الأعمش : [وأتوا ما كتب الله لكم] تُرَجِّح المعنى الأول والثاني من معاني القراءة المتواترة .

2 . أمَّا قراءة الحسن : [واتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ] تُرَجِّح المعنى الخامس من معاني القراءة المتواترة.

3 . أنه لا مانع من إرادة جميع هذه المعاني المذكورة في معنى القراءة المتواترة , وأنَّ قراءة الحسن تؤيد ذلك جميعه , فهي على العموم .

4 . أنَّه يُلاحظ أنَّ القراءة المتواترة ذكرت فرداً من أفراد العموم المستفاد من قراءة الحسن , فلا تفيد التخصيص ؛ لكن تفيد مزيد اهتمامٍ بهذا الأمر الذي يدل عليه السِّياق , وهو ابتغاء الولد , ويرجحه القراءة الشاذة : [وأتوا ما كتب الله لكم].

ومن أمثلة ذلك أيضاً :

2 ـ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى :ُّ (19) قال ـ رحمه الله ـ : " أي : الشَّمس , وقُرِئَ : [سُرُجاً] على الجمع , وعلى هذه القراءة قد دخل

القمر في السرج ؛ إلا إنه خصَّه بالذكر لنوع فضيلة منه , وهذا مثل قوله تعالى :ُّ ٱ لخ لم له مجَّ (20) " (21).

فقد ذكر الإمام السَّمْعانيّ في هذا المثال قراءة متواترة دون أنْ يعزوها لأحد من القُرَّاء , وهي قراءة حمزة , والكسائي , وخلف العاشر (22) , ثم بعد ذلك قام بتوجيهها مشيراً إلى أنَّ القمر واحد من ضمن السرج , وأنَّ العلَّة في تخصيصه بالذكر ؛ لنوع فضيلة منه .

ويمكن للباحث أنْ يستعرض بعض ما جاء في هاتين القراءتين من حيث العموم والخصوص على النَّحْو التالي :

أولاً : المراد من القراءتين :

ـ أنَّ القراءة الأولى التي بكسر السين , وفتح الراء , وألف بعدها [سِرَاجَاً], وهي قراءة الجمهور ما عدا حمزة , والكسائي , وخلف العاشر , بمعنى : الشمس كما أشار إليه السَّمْعانيّ .

ـ بينما القراءة الأخرى التي بضم السين والراء , من غير ألف بعدها [سُرُجاً] وهي قراءة حمزة , والكسائي , وخلف العاشر , بمعنى : الشمس , والكواكب العظام معها .

ثانياً : ويستنبط الباحث من هاتين القراءتين ما يلي :

1 ـ أنه يُستفاد من قراءة [سُرُجاً] بضم السين والراء , من غير ألفٍ بعدها أنَّ الآية فيها ذكر لبعض أفراد العام ؛ حيث يكون المعنى : تبارك الذي جعل في السماء كواكب ؛ لأنَّ كل كوكبٍ سراج , وهي تطلع مع القمر , وهو منها , فيكون قد أفرده بالذكر لبيان فضله وتشريفه , وهو ما أشار إليه السَّمْعانيّ ـ رحمه الله ـ في تفسيره .

2 ـ كما أنه يُستفاد من القراءة الأخرى التي بكسر السين , وفتح الراء , وألف بعدها [سِرَاجَاً] كون الآية فيها ذكر الشمس , والقمر ؛ لبيان شرفها (23).

المبحث الثاني : القراءات المتعلِقة بالإطلاق

وسوف يسوق الباحث بعض الأمثلة التي جاءت في تفسير الإمام أبي المظَفَّر السَّمْعانيّ ـ رحمه الله ـ لتوضيح هذا الأثر .

1 ـ عند تفسيره لقوله تعالى :ُّ ٱ ىن ني هج هم ...َّ ([24]) , قال ـ رحمه الله ـ : " وفي مصحف ابن مسعود : [فاقطعوا أيمانهما] , وهو معني القراءة المعروفة " ([25]) .

فقد أتى السَّمْعانيّ في هذا المثال بقراءة شاذة , ثبتت في مصحف ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لكي يبيّن معنى القراءة المعروفة , والمتأمل في هذا المثال يجد أنَّ قراءة ابن مسعود الشاذة مع الرغم من شذوذها ؛ إلا أنها قد قيَّدت قراءة الجمهور على أنَّ السارق تُقطَع يده اليمنى , وهذا لم يظهر في القراءة المتواترة المعروفة , حيث لم تحدد القراءة المعروفة موضع القطع للسارق , أتقطع يده اليمنى , أم اليسرى , أم هما معاً ؟ وهذا ما حددته قراءة ابن مسعود الشاذة .

ويمكن للباحث أنْ يتناول بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بهذا المثال , وذلك على النحو التالي :

ـ **أولاً** : أنَّ القراءة المتواترة لم تعيِّن محل القطع من , اليد إنما أمرت بقطع يد السارق على الإطلاق .

ـ أمَّا القراءة الشاذة فقد عيَّنَت محل القطع , وأنه اليد اليمنى .

ـ **ثانياً** : أنَّ هذا الحكم الذي تضمنته الآية بالقراءتين حكم صحيح بالإجماع .

قال ابن حزم : " واتفقوا أنَّ من سرق ... فَقُطِعَت يده اليمنى أنه قد أُقيم عليه الحدّ ([26]).

قال ابن قدامة ([27]) : " لا خلاف بين أهل العلم في أنَّ السارق أوَّل ما يُقطَع منه يده اليمنى من مفصل الكفّ وهو الكوع , وفي قراءة عبد الله بن مسعود : [فاقطعوا أيمانهما] وهذا إنْ كان قراءة ؛ وإلا فهو تفسير , وقد رُوِيَ عن أبي بكرٍ الصديق , وعمر ـ رضي الله عنهما ـ قالا : " إذا سرق السارق فاقطعوا يمينه من الكوع " ولا مخالف له من الصحابة " ([28]).

ـ ثالثاً : الظاهر أنَّ هذه القراءة المروية عن ابن مسعود من قبيل التفسير ؛ إذ جاءت في رواية بلفظ : " والسارقون والسارقات " , وفي رواية أخرى بلفظ : " والسارق والسارقة " , ولهما حكم المرفوع , والله أعلم .

ومن أمثلة ذلك أيضاً :

2 ـ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى :ﱡﱠ ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ ...ّ (29) , حيث قال ـ رحمه الله ـ : " ظاهره أنه يجوز التتابع , وهو الأصح , وقرأ ابن مسعود , وأُبَيٌّ بن كعب : [ثلاثة أيام متتابعات] فعلى هذا يجب التتابع , وبه قال مالك , والأوزاعي , وهو أحد قولي الشافعي " (30).

ففي هذا المثال عرض الإمام السَّمْعانيّ القراءة المعروفة , وهي قراءة الجمهور من العشرة , ثم قام بتوجيهها مبيناً الأثر الفقهي المترتب عليها , ثم بعد ذلك وجدناه قد أورد قراءة أخرى شاذة , وعزاها إلى بعض الصحابة , مبيّناً أيضاً الأثر الفقهي المترتب عليها , والناظر في القراءة المتواترة يجد أنها جاءت مطلقة , حيث لم تقيد الصوم في كفارة اليمين متفرقاً أم متتابعاً , ثمَّ جاءت القراءة الأخرى الشاذة فقيَّدت الصوم هنا بكونه متتابعاً .

وسوف نستعرض بعض الأحكام الفقهية , المترتبة على هاتين القراءتين , من خلال ما ذكره الفقهاء في ذلك على النحو التالي :

أولاً : **معنى القراءتين** :

1 ـ أنَّ القراءة الأولى المتواترة دلَّت على أنَّ من لم يستطع أنْ يطعم عشرة مساكين , أو كسوتهم , أو عتق رقبة فإنه يصوم ثلاثة أيام , ولم تقيَّد بأي قيد , حيث يجوز صيامها متفرقة , كما يجوز صومها متتابعة .

2 ـ أمَّا القراءة الأخرى الشاذة فقد أفادت أنَّ صيام الأيام الثلاثة يشترط فيها التتابع ؛ لأنها قيدتها بوصف التتابع .

ثانياً : ومِمَّا سبق نستطيع أنْ نستنبط من هاتين القراءتين عدة أمور , منها :

1 . أنَّ القراءة الشاذة قيدت إطلاق القراءة المتواترة , فلا يجوز صيام الثلاثة أيام في كفارة اليمين إلا متتابعة غير مفرقة .

2 . أنَّ للعلماء رأيان في اشتراط تتابع الأيام الثلاثة في صيام كفارة اليمين , فذهب مالك , والشافعي إلى جواز صيام الأيام الثلاثة متفرقة أو متتابعة , لكن استحبا التتابع فيها .

كما ذهب أبو حنيفة وأحمد إلى اشتراط التتابع في الأيام الثلاثة في صيام كفارة اليمين ([31]).

ثالثاً : أنَّ السبب في هذا الاختلاف شيئان :

الأول : هل يجب العمل بالقراءة الشاذة ؟

فمن قال : إذا خالفت القراءة رسم المصحف سقطت قرآنيتها , وبالتالي لا يتعلق بها ؛ قال : لا يشترط التتابع في الأيام الثلاثة .

ومن قال : إذا خالفت القراءة رسم المصحف لا تُعَدُّ قرآناً , ولكن تجري مجرى الخبر , فيُعمَلُ بها ؛ قال : يُشتَرط التتابع في صيام الأيام الثلاثة في كفارة اليمين .

وقد تقدَّمت مذاهب العلماء في حكم العمل بالقراءة الشاذة , وترجيح العمل بها , والاستفادة منها في مجال التفسير .

الثاني : أنَّ اختلافهم هذا هل يحمل الأمر بمطلق الصوم على التَّتَابع , أم لا يحمل ؟ . إذا كان الأصل في الصيام الواجب بالشرع إنما هو التتابع ([32]).

المبحث الثالث : القراءات المتعلقة بالإجمال :

يتضمن هذا العنوان الآيات التي جاءت مجملة على قراءة , وجاءت قراءة أخرى بيَّنت هذا الإجمال , ويمكن توضيح ذلك فيما يلي :

1 ـ وما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى :ﱡ ﱠ لخ لم لى لي مم مى مي نج نح نخ نم نى ني ﱠ ([33]) حيث قال : " قال قتادة : هو عبد الله بن سلام , وسلمان الفارسي , وتميم الدَّاري , وعلى هذا جماعة من التابعين , وأنكر الشعبي , وعكرمة , وجماعة هذا القول , وقالوا : إنَّ السورة مكية , وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة , وأيضاً فإنَّ الله تعالى كيف يستشهد بمخلوق , وإنَّما المراد منه هو الله تعالى , وقد قرأ ابن عباس : [وَمِن عنده علم الكتاب] وهذا يبيِّن أنَّ المراد منه هو الله تعالى " ([34]).

فبعد ما أورده الإمام السَّمْعانيّ في المثال السابق من أقوال للعلماء حول المعنى المقصود من الآية الكريمة , ذكر قراءة شاذة دون أنْ يحكم عليها بذلك , واكتفى بعزوها إلى ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ مبيناً أثر هذه القراءة على القراءة الأخرى المتواترة .

ومن خلال ما سبق يمكننا أنْ نلقي الضوء على هاتين القراءتين , وما تضمنته من معان , وذلك على النحو التالي :

أولاً : القراءات الواردة في هذه الآية الكريمة :ﱡ ﱠ... نخ نم نى ني ﱠ ([35]) .

1ـ قرأ القُرَّاء العشرة بفتح الميم في : [وَمَنْ] هكذا : [وَمَن عِندَهُ علم الكتاب] وفتح الدال وضم الهاء في [عندَهُ]., وكسر العين , وسكون اللام , وضم الميم من : [عِلْمُ]

2ـ وقرأ عليّ بن أبي طالب , وابن عباس , وأبيّ بن كعب ـ رضي الله عنهم ـ وسعيد بن جبير , وعكرمة , ومجاهد بخلاف عنه , والحسن بخلاف عنه , وعبد الرحمن بن أبي بكرة ([36]) , وابن أبي إسحاق ([37]) , والضحاك , والحَكَم بن عتيبة , ورُوِيَت عن الأعمش : [وَمِن عِندِه علم الكتاب] بكسر الميم في [مِن] وكسر الدال والهاء في : [عنده].

2ـ وقرأ عليّ بن أبي طالب أيضاً , وابن السميفع , والحسن : بكسر الميم والدال والهاء هكذا : [ومِن عِندِهِ] وكذا : [علم الكتاب] بضم العين , وكسر اللام , وفتح الميم في : [علم] , هكذا : [عُلِمَ الكتاب] ([38]).

ثانياً : معنى القراءات الواردة في هذا المثال :

1 ـ القراءة المتواترة التي بفتح الميم وسكون النون في : [وَمَن عِندَهُ عِلْمُ الكتاب] في معناها سبعة أقوال :

أحدهما : أنهم علماء اليهود والنصارى , , وهو مرويٌ عن العوفي عن ابن عباس .

الثاني : أنه عبد الله بن سلام , قاله الحسن , ومجاهد , وعكرمة , وابن زيد وابن السائب , ومقاتل .

الثالث : أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق , منهم عبد الله بن سلام , وسلمان الفارسي , وتميم الدَّاري قاله قتادة .

الرابع : أنه جبريل ـ عليه السلام ـ قاله سعيد بن جبير .

الخامس : أنه عليّ بن أبي طالب , قاله ابن الحنفية .

السادس : أنه بنيامين .

السابع : أنه الله تعالى , روي عن الحسن ومجاهد ([39]).

2 ـ القراءة الأخرى الشاذة التي بكسر الميم في : [مِن] والدال والهاء في : [عنده] تقدير معناها : من فضله ولطفه علم الكتاب .

3 ـ وهناك قراءة أخرى شاذة , وهي بضم العين , وكسر اللام , وفتح الميم هكذا : [عُلِمَ] فيكون معناها معنى القراءة التي قبلها ؛ إلا أنَّ تقدير إعرابها مخالف ؛ لأنَّ من قال : [وَمِن عِندِهِ عِلْمُ الكتاب] فـ " من " متعلقة بمحذوف و[علم الكتاب] مرفوع بالابتداء , كقوله تعالى

:ُّ ّ نج نخ ...ّ (40) , ومن قال : [وَمِن عِندِهِ عُلِمَ الكتاب] فـ " من " متعلقة بنفس " علم "كقولك : من الدَّار أَخرَج زيد , أي : أخرج زيد من الدار , ثم قدمت حرف الجرِّ (41).

ثالثاً : يستنبط الباحث من هذه القراءات الآتي :

أنَّ القراءة الآحادية التي ذكرت قد بيَّنَت المراد من القراءة المتواترة .

قال الزجاج : [ومَن عِندَهُ عِلْمَ الكتاب] و [من] يعود على الله ـ عز وجل ـ وقيل في التفسير : يعني به عبد الله بن سلام , وقيل : بنيامين , والذي يدلُّ على أنه راجع إلى الله ـ عز وجل ـ قراءة من قرأ : [وَمِن عِندَهُ عِلْمَ الكتاب] و [وَمِن عِندِهِ عُلِمَ الكتاب] ؛ لأنَّ الأشبه ـ والله أعلم ـ أنَّ الله لا يستشهد على خلقه بغيره , وهذا الكلام الذي ذكره الزجاج موافق لِمَا ذكره السَّمْعانيّ في تفسيره من هذا المعنى .

وذلك التفسير جائز ؛ لأنَّ البراهين إذا قامت , مع اعتراف من قرأ الكتب التي أنزلت قبل القرآن فهو أمر مؤكد (42).

2 ـ ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى :ُّ كا كل كم ...ّ (43) , فإنْ قيل : الغل إنَّما يكون على اليد ! والجواب عنه : أنَّ العادة أنَّ اليد تُغَلُّ إلى العنق , فذكر الأعناق لهذا المعنى , واكتفى بذكرها عن ذكر الأيدي , قال الأزهري : معنى الآية : إنَّا جعلنا في أعناقهم وأيديهم أغلالاً , فهي كناية عن الأيدي , فإنْ قيل : فكيف يُكَنِّي عن الأيدي ولم يَجْرِ لها ذكر ؟ والجواب عنه : أنَّ العرب تُكَنِّي

عن الشيء وإنْ لم تَجْرِ لها ذكراً , إذا كان معلوماً , قال الشاعر :

(ولا أدري إذا يَمَّمْتُ أرضاً ... أريد الخير أيهما يليني)

(أألخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشر الذي يبتغيني) (44).

فقد كنَّى بقوله : [أيهما] عن الشر والخير , والشر غير مذكور , وقرأ ابن مسعود (45) : [إنا جعلنا في أيمانهم أغلالاً] وهي قراءة معروفة عنه " (46).

ففي المثال السابق ذكر السَّمْعانيّ القراءة المعروفة , وهي قراءة الجمهور , ثم قام بتوجيهها , مستشهداً على معنى القراءة المتواترة بقراءة أخرى شاذة , حيث نبَّه أنَّ القراءة الشاذة بيَّنت المقصود من القراءة المتواترة .

ومن هنا يمكن للباحث أنْ يشير إلى بعض النتائج المترتبة على هاتين القراءتين وذلك على النحو التالي :

أولاً : قرأ القرَّاء العشر هكذا : [**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا**] .

وقرأ ابن مسعود وابن عباس : [**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالًا**] ([47]).

ثانياً : ما يمكن استنباطه من هاتين القراءتين :

أنَّ قوله تعالى : [...**إِلَى الْأَذْقَانِ**...] يعني : أيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم , فكَنَّى عن الإيمان ولم يَجْرِ لها ذكر ؛ لمعرفة السامعين بمعنى الكلام , وأنَّ الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها , فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق عن ذكر الإيمان ([48]).

وجاءت قراءة ابن مسعود , وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مفسِّرة ومبيِّنة ومؤكدة لهذا المعنى , والله أعلم .

الخاتمة

وتشتمل على أهمُّ وأبرز ما وصل إليه الباحث من نتائج ومقترحات

وبعد هذه الرحلة العلمية الممتعة مع الإمام الكبير أبي المظَفَّر السَّمْعانيّ , وتفسيره الممتع الغزير بمواضيع الدين المتعددة , وذلك من خلال (أثر القراءات المتعلِّقة بالعموم والإطلاق والإجمال في تفسير الإمام السَّمْعَانيّ) قد ظهرت للباحث عدة نتائج , وبعض المقترحات التي يمكن أنْ يُستفاد منها :

أولاً : النتائج :

1 ـ سار الإمام أبو المظَفَّر السَّمْعانيّ ـ رحمه الله ـ في تفسيره متَّبِعاً لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة , متصدياً لأهل البدع والأهواء , مبيِّناً فساد تأويلاتهم .

2 ـ سعة وتنوع علوم الإمام أبي المظَفَّر السَّمْعانيّ , فقد كان تفسيره جامعاً لكثيرٍ من العلوم , كالفقه , والحديث , واللغة , وإنَّ سيرته لتستنهض الهمم لِتَعَلُّمِ أنواع العلوم الشرعية , وعدم الاقتصار على فنٍّ واحدٍ فقط .

3 ـ أنَّ للقراءات المتواترة أثراً عظيماً في التفسير , يتجلَّى ذلك من خلال توجيهات العلماء لها , وبيان المعاني المختلفة , واستنباط الأحكام من دلالة الألفاظ , مِمَّا يؤَكِّد أهمِّيّة إيرادها أثناء التفسير والاهتمام بها لينتفع بها المسلمون .

4 ـ أنَّ تفسير الإمام السَّمْعانيّ يُعَدُّ من ضمن التفاسير التي تضمَّنت كثير من القراءات بأنواعها المختلفة , حتى إنِّي وجدت فيه بعض القراءات الشاذة التي لم أجدها في كتب التفاسير أخرى .

6 ـ أنَّ القراءة سنَّة متَّبعة , تُؤْخَذُ عن طريق التلقِّي والرواية , فإذا ثبت تواترها وجب التسليم المطلق لها , ولا يجوز بحال من الأحوال أنْ توصف بالضعف , أو اللَّحن , أو الخطأ ولا مجال فيها للرأي والاجتهاد , أو القياس .

7 ـ لا يُعتَمدُ على كتب التفسير وحدها في توثيق القراءات ؛ بل لا بدَّ من الرجوع إلى الشيوخ المتقنين المتصل سندهم بالنَّبيِّ ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ وإلى كتب القراءات المعتمدة , ذلك أنَّ هناك خلطاً في بعض الأحيان بين القراءات المتواترة والشَّاذَّة التي يذكرها المفسرون في تفاسيرهم , مِمَّا قد يُحْدِثُ لَبساً عند القارئ , الأمر الذي يستدعي عنده الحذر من قبول كل ما يُذْكَرُ من القراءات .

11 ـ يستعرض الإمام السَّمْعانيّ القراءات الشاذة في تفسيره مشيرً إلى شذوذها في بعض الأحيان.

13 ـ يستعرض أحياناً القراءات ـ المتواترة , أو الشاذة ـ بصورة مبهمة دون بيان الحكم عليها , أو نسبتها إلى قرائها , كقوله مثلاً : قُرِئَ , أو فيه قراءتان , أو غير ذلك مِمَّا يجعل القارئ لا يستطيع أنْ يميِّز بين الصحيح المتواتر , والشاذ المردود .

14 ـ تفسيره ذاخر بالاحتجاج للقراءات ـ المتواترة , والشاذة ـ بشتَّى أنواع الحجج والعلل من نصوصٍ قرآنية , وحجج نحوية , وصرفية , وبلاغية , وأبيات من الشعر , ولغات العرب .

15 ـ أنَّ للإمام السَّمْعانيّ في توجيهه للقراءات توجيهات نفيسة , لا تكاد تجدها عند غيره مِمَّن سبقوه .

18 ـ تُعَدُّ القراءات المتواترة والشاذة مصدراً من مصادر التشريع عند الإمام السَّمْعانيّ .

22 ـ كما تميَّز الإمام السَّمْعانيّ بتحلِّيه بالأدب مع مخالفيه , والإنصاف مع خصومه , متَّبِعاً للحق , متجرِّداً عن الهوى .

ثانياً : المقترحات :

1 ـ يوصي الباحث بتناول تفسير الإمام أبي المظَفَّر السَّمْعانيّ , بالبحث والدراسة من حيث توثيق وتخريج ما فيه من قراءات , مع تمييز القراءات المتواترة من الشاذة , وتجميع ذلك في كتاب مستقل , وإضافته إلى المكتبة الإسلامية .

2 ـ ينبغي على المسلمين وعلمائهم كافَّة أنْ يواصلوا اهتمامهم بنشر الكتب التي توضح للمسلمين ـ وبخاصَّة طلبة العلم ـ أهمِّيةَ علم القراءات , وتبيِّنُ لهم حقيقة هذا العلم وأصوله , وكذلك حثّ طلبة الدراسات العليا على العمل على استخراج الكنوز المكنونة في تفاسير علمائنا من خلال البحث في مناهجهم , والاستفادة منها .

3 ـ كما يوصي الباحث أيضاً طلَّاب العلم بدراسة علم القراءات نظراً لخطورته , وما يمكن أنْ يحدثه من الشَّك في القرآن الكريم , وهذا أمر خطير يَتْبَعَهُ تلقائيَّاً الطَّعن في القرآن العظيم , الذي هو مصدر هذا الدين , ومنبع شريعته , خاصَّة أنَّنَا نلاحظ ندرة المشتغلين به في زماننا هذا .

3 ـ ضرورة العناية بعلم القراءات من الجانبين : (النظري , والعملي) ,

وفي ختام هذه الدراسة أقول :

إنَّ هذه محاولة متواضعة أردت أنْ أشارك بها في ميدان البحث العلمي , خدمة للدراسات القرآنية , وما أبرئ نفسي من القصور , أو التقصير , فتلك شيمة الإنسان في كل زمان ومكان ؛ وذلك أنَّ الكمال المطلق لله وحده , أمَّا أعمال الإنسان فإنها عرضة للخطأ والنِّسيان , موصولة بمددٍ لا يكاد ينقطع من عسرات الهفوات والزَّلَّات.

هذا وما كان من توفيقٍ فمن الله وحده , وما كان من خطأٍ , أو سهوٍ , أو نسيانٍ فمنِّي ومن الشيطان , والله ورسوله منه براء , وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم .

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	السورة	رقم الصفحة
﴿ ٱ...﴾	187	البقرة	4 , 1
﴿ ٱ.﴾ ...	187	البقرة	4
﴿ ٱ ... تح تخ تم ته ثم جح ...﴾	187	البقرة	4
﴿﴾ ...	6	المؤمنون	5
﴿ ٱ نر نز نم نن ني ىٰ ير يز﴾	61	الفرقان	6
﴿ ٱ لخ لم له مج﴾	68	الرحمن	6
﴿ ٱ نى ني هج هم ...﴾	38	المائدة	7
﴿ٱ ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ ...﴾	89	المائدة	8
﴿ ٱ لخ لم لى ﴾ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني﴾	43	الرعد	10
﴿ٱ نج نح ...﴾	البقرة	78	11
﴿﴾ كا كل كم ...﴾	يس	8	11

فهرس المراجع

1 – القرآن الكريم .

2 ـ تفسير القرآن , لأبي المظَفَّر السَّمْعانيّ

3 ـ تفسير القرطبي .

3 ـ البحر المحيط , لأبي حيان .

4 ـ الدر المنثور , للسيوطي .

5 ـ تفسير الزمخشري .

6 ـ زاد المسير , لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي , المتوفى سنة 597هـ : تحقيق : عبد الرازق المهدي , الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت , ط ـ الأولى ـ 1422هـ .

7 ـ غرائب التفسير , وعجائب التأويل , لمحمود بن حمزة بن نصر , أبو القاسم برهان الدين الكرماني , المعروف بتاج الفراء , المتوفى سنة 505هـ , الناشر : دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدَّة , مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت .

8 ـ التيسير في القراءات السبع , لأبي عمرو الداني .

9 ـ النشر في القراءات العشر , لابن الجزري .

10 ـ التحبير في القراءات العشر , لابن الجزري .

11 ـ معاني القرآن , للزجاج .

12 ـ مراتب الإجماع , لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري , المتوفى سنة 456هـ , الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

13 ـ المغني في الفقه , لابن قدامة .

14 ـ بداية المجتهد , أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد , المتوفى: 595هـ , الناشر : دار الحديث – القاهرة , ط : بدون طبعة , تاريخ النشر : 1425هـ - 2004 م ,

15 ـ المبدع في شرح المقنع , لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدين , المتوفى : 884هـ , الناشر : دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط : الأولى ، 1418هـ .

16 ـ المحتسب , لابن جني .

17 ـ البرهان في علوم القرآن , للزركشي .

[11]() البقرة : (الآية : 187).

[2]() أبو الجوزاء : هو أوس بن خالد الربعي البصري أبو الجوزاء من الطبقة الثانية من التابعين , قال صحبت ابن عباس اثنتي عشرة سنة فما بقي في القرآن آية إلا سألته عنها , توفي سنة 83هـ , انظر : الوافي بالوفيات : (252/9).

[3]() تفسير القرآن , لأبي المظَفَّر السَّمْعانيّ : (187/1).

[4]() انظر : تفسير القرطبي : (318/2) , والبحر المحيط , لأبي حيان : (50/2) , والدر المنثور , للسيوطي : (479/1).

[5]() إسناده صحيح , أخرجه عبد الرازق في تفسيره : (17/1) , ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره : (508/3) تحقيق : أحمد محمد شاكر.

[6]() انظر : تفسير الزمخشري (231/1) , البحر المحيط : (214/2)

[7]() البقرة : (الآية : 187).

[8]() انظر : زاد المسير , لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي , المتوفى سنة 597هـ : (149/1) , تحقيق : عبد الرازق المهدي , الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت , ط ـ الأولى ـ 1422هـ , تفسير القرطبي : (318/2) , البحر المحيط : (2/ 214 ـ 215).

[9]() البقرة : (الآية : 187).

[10]() انظر : زاد المسير : (149/1).

[11]() البحر المحيط : (214/2).

[12]() البحر المحيط : (214/2) , تفسير القرطبي : (318/2).

[13]() البقرة : (الآية : 222).

[14]() انظر : البحر المحيط , لأبي حيان الأندلسي : (214/2) , زاد المسير , لجمال الدين أبي الفرج : (149/1)

[15]() انظر : تفسير الزمخشري : (231/1).

[16]() غرائب التفسير , وعجائب التأويل , لمحمود بن حمزة بن نصر , أبو القاسم برهان الدين الكرماني , المعروف بتاج القراء , المتوفى سنة 505هـ : (201/1) , الناشر : دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدَّة , مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت .

[17]() المؤمنون : (الآية : 6) , والمعارج : (الآية 30).

[18]() انظر : البحر المحيط : (215/2).

[19]() الفرقان : (الآية : 61).

[20]() الرحمن : (الآية : 68).

[21]() تفسير السَّمْعانيّ : (28/4).

[22]() انظر : التيسير : (164/1) , والنشر : (334/2) , والتحبير : (485/1).

[23]() انظر : معاني القرآن , للزجاج : (74/4) , وتفسير القرطبي : (65/13).

[24]() المائدة : (الآية : 38).

[25]() تفسير السَّمْعانيّ : (36/2).

[26]() مراتب الإجماع , لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري , المتوفى سنة 456هـ : (135) , الناشر : دار الكتب العلمية . بيروت .

[27]() ابن قدامة : هو عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثمَّ الدمشقيّ الحنبلي ، أبو محمد ، موفق الدين : فقيه ، من أكابر الحنابلة ، له تصانيف ، منها " المغني " شرح به مختصر الخرقي ، في الفقه ، و " روضة الناظر " في أصول الفقه ، و " المقنع " مجلدان ، توفي سنة 620هـ , انظر : الأعلام , للزركلي : (67/4).

[28]() المغني في الفقه , لابن قدامة : (261/8).

[29]() المائدة : (الآية : 89).

[30]() تفسير السَّمْعانيّ : (61/2).

[31]() بداية المجتهد , أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد , المتوفى: 595هـ (418/1) , الناشر : دار الحديث – القاهرة , ط : بدون طبعة , تاريخ النشر : 1425هـ - 2004 م , والمبدع في شرح المقنع , لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدين , المتوفى : 884هـ : (278/10) , الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان , ط : الأولى ، 1418هـ - 1997م .

[32]() انظر : بداية المجتهد : (418/1) .

[33]() الرعد : (الآية : 43).

[34]() تفسير السَّمْعانيّ : (101/3).

[35]() الرعد : (الآية : 43).

[36]() هو : عبد الرحمن بن أبي بَكْرَة نفيع بن الحارث الثقفي البصري ، أبو بحر : أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة , تابعي ، من رجال الحديث الثقات , ولَّاه علي ابن أبي طالب ، على بيت المال ، توفي سنة 96هـ , انظر : الأعلام , للزركلي : (340/3).

[37]() هو : ابن أبي إسحاق السبيعي يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي , قال أبو حاتم صدوق لا يحتج به وقال النسائي ليس به بأس , وقال أحمد حديثه مضطرب , توفي سنة سبع وخمسين ومائة وروى له مسلم والأربعة , انظر : الوافي بالوفيات : (45/29).

[38]() انظر : المحتسب : (358/1).

[39]() انظر : زاد المسير في علم التفسير , لأبي الفرج بن محمد بن علي بن محمد الجوزي : (341/4 . 342).

[40]() البقرة : (الآية : 78).

[41]() انظر : المحتسب , لابن جني : (358/1).

[42]() انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : (151/3 . 152).

[43]() يس : (الآية : 8).

[44]() البيتان من الوافر , وهما لسحيم بن وثيل الرياحي , انظر : تفسير الطبري : (493/20) , تحقيق : أحمد شاكر.

[45]() نسب القرطبي في تفسيره هذه القراءة لابن عباس . رضي الله عنهما . انظر : تفسير القرطبي: (7/15).

[46]() تفسير السَّمْعانيّ : (368/4).

[47]() انظر : تفسير الطبري : (150/22) دار الفكر , والدر المنثور , للسيوطي (44/7) , تفسير القرطبي : (7/15).

[48]() انظر : تفسير الطبري : (150/22) دار الفكر , والبرهان في علوم القرآن , للزركشي : (28/4).